ثنائية الليل والنهار في القرآن الكريم

د. أحمد خضير عمير
الجامعة العراقية/كلية الآداب

ملخص البحث

بعد هذه الجولة العلمية في ربوع القرآن الكريم لا بد لي من خاتمة اذكر فيها النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة والتي ألخصها بما ياتي :

١. الثنائيات مشتقة في اللغة من كلمة (اثنين) ، وهي كل شيء انطوى على اثنين ، أو تكون من اثنين .
٢. وفي الاصطلاح فالثنائيات هي الألفاظ التي يرتبط بعضها مع بعض بعلائق أو وشائج تجمع بينهما معنوية كانت أم مادية . والتي غالباً ما إذا ذكر أحدهما ذكر الآخر .
٣. ارتبط ذكر الليل والنهار في القرآن الكريم في (٤٣) موضع ، منها (٢١) موضع بلفظ (اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) .
٤. إن أحوال تعاقب الليل والنهار تمثلت بالغشيان ، والتقليب ، والولوج و الانسلاخ والتكوير .
٥. تمثلت سمات ثنائية الليل والنهار بداوم حفظ الله تعالى ، وعدم تداخل الأوقات ، وأنهما ملك لله تعالى ، ونفاذ أمر الله تعالى فيهما
٦. إن تعاقب الليل والنهار على نصفي الأرض ضروري للحياة؛ لأن جميع صور الحياة الأرضية من إنسان، وحيوان، ونبات، وغير ذلك من أنماط الحياة البسيطة لا تتحمل مواصلة العمل دون راحة وإلا هلكت، فهي تحتاج إلى الراحة بالليل لاستعادة النشاط بالنهار
٧. من فوائد لليل والنهار : استخلاف الأعمال وتوزيعها ، وارتباطهما بالعبادات .

Abstract

1.Diodes in the language derived from the word (two), and everything involved the two, or be one of the two.

2. In terminology Valtnaúaat is words, some of which is associated with certain diets or bonds combine them moral or material. Which often if Male Male each other.

3. Male linked day and night in the Quran (43) position, including (21) into the wording (day and night).

4. Associated with bilateral day and night with a number of global issues, including the verses, which came within the context of induction to ponder in the ayatollahs, that people see it and they live every moment and when, and for those who think about it And ponder the great signs predict that this is a great creator of the universe.

5.The Reliable succession of day and night represented Balgshean, and flipping,access and alienation and pelleting.

6. Consisted features dual day and night Bdom Remember God, and times do not overlap, and they belongs to God Almighty, and force is God in them.

7. The succession of day and night on half the land is essential for life; because all images earthly life of man, animal, plant, and other lifestyles Statistics do not bear to continue to work without rest or else perished, they need to rest at night to restore the activity during the day.

8. Of the benefits of the night and day: the replacement of business and distribution, and they relate to worship.

المقدمة

الحمد لله حمداً أرجو أن يبلغني رضاه ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد خير من اصطفاه ، أمام الصابرين وشفيعنا يوم الدين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المخلصين الصادقين، وعلى من دعا بدعوته واهتدى بهداه إلى يوم الدين صلاة دائمة لا نفاد لها ولا زوال.

أما بعد :

فإن عناية المسلمين بالقرآن الكريم تتجلى في كثرة ما كتب فيه من بحوث ودراسات مختلفة ومتنوعة ، وسيظل هذا الكتاب الكريم مادة لمؤلفات ودراسات وبحوث مستقبلية إلى أن يرث الله الأرض وهو أحكم الحاكمين .

ومن الميادين التي أراها جديرة بالبحث والدراسة مسألة الثنائيات ولاسيما المتضادة ، لأهميتها في فهم النص ، وأثرها في السياق القرآني ، ولأن الحكمة الإلهية اقتضت ارتباط ذكرهما معاً ، وأن دراسة هذه الثنائيات من شأنه أن يكشف بعض مكامن الإبداع في القرآن الكريم .

فإن لغة الَقُرْآن الكَرِيم تعد اللغة المثلى ، والمقياس الأرفع الذي يحتكم إليه في مسائل اللغة والأدب ، فضلاً عن كونه دستور حياة المسلمين لما تضمنه من شرائع وأحكام .

وما زالت لغة القرآن الكريم موضع عناية الدارسين ، ومعقد اهتمامهم ، وذلك لما يجدون فيها من أسرار دقيقة ، لم يوقف على مثلها في النصوص الأدبية ، وإن سمت إلى أعلى مراتب الإبداع .

وقد كان المفسرون الأوائل في مقدمة من استوقفتهم هذه الأسرار ، فراحوا يستكشفونها ، ويرفعون عنها الحجب ، ليتذوقها القارئ ، ويزداد يقيناً بإعجاز هذا النص ، وبأنه من لدن عزيز حكيم .

لقد كان القرآن الكريم أهم النصوص التي استقيت منها المقاييس اللغوية والأدبية والشرعية ، وأن جل ما نراه في الأدب الإسلامي إنما انبنت على عبارة القرآن ، واستنبطت منها .

إن الثنائيات تتحدث عن علاقة جدلية بين متضادين وفق يبنهما القرآن الكريم ليرسم صورة واضحة معبرة عن الأحداث ، أفصحت عن أهمية الارتباط بينهما من جهة ، وقد أتت متوافقة مع السياق ومع الغرض العام .

ولهذا ارتأيت دراسة إحدى هذه الثنائيات ، وهي الليل والنهار ، في بحث أسميته : **(ثنائية الليل والنهار في القرآن الكريم)** حاولت فيه بيان أثر ارتباط ذكر الليل والنهار في النص القرآني ، وبالنظر لسعة الموضوع فقد اقتصرت على أهم النقاط المتعلقة به .

وقد قسمت هذا البحث بعد هذه المقدمة الموجزة على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الثنائيات .

المبحث الثاني : الآيات الكونية .

المبحث الثالث : منافع الليل والنهار .

وختمت البحث بخاتمة لخصت فيها أهم ما جاء فيه .

والله الهادي إلى سواء السبيل ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المبحث الأول : تعريف الثنائيات

أولاً ــ الثنائيات في اللغة :

لم أقف على كلمة (الثنائيات) في معجمات اللغة وقواميسها ، لا في قديمها ولا في حديثها ، ولكن هذا لا يعني عجمتها أو أنها دون معنى إذ الأصل فيها هو اشتقاقها من كلمة (اثنين) .

وأصل الاثنين : الثِنْيُ من النوق : التي وضعتْ بطْنَيْنِ . وثِنْيُها: ولدها ، وكذلك المرأة . ولا يقال ثِلْثُ ولا فوقَ ذلك . والثِني : الأمر يعاد مرَّتين .

والثُنْيا بالضم : الاسمُ من الاسْتِثناءِ ، وكذلك الثَنْوي بالفتح . ويقال: جاءوا مَثْنى مَثْنى، أي اثنين اثنين .

ومَثْنى الأَيادي: أن يأخذ القِسْمَ مرّةً بعد مرّةٍ[١] . قال النابغة:

أَنِّي أُتَمِّمُ أَيْساري وأَمْنَحُهُمْ

مَثْنَى الأَيادي وأَكْسُو الجَفْنَةَ الأُدُما[٢]

وثَنَيْتُ الشيء ثَنْياً : عطفتَه . وثَناهُ ، أي كَفَّهُ. يقال: جاء ثانياً من عنانه. وثَنَيْتُهُ أيضاً : صرفته عن حاجته، وكذلك إذا صرتَ له ثانياً. وثَنَّيْتُهُ تَثْنِيَةً ، أي : جَعلتُه اثنين[٣] .

---

(١) ينظر : تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق أحمد عبد العليم البرنوني ، مراجعة علي محمد البجاوي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة مصر ، بلا تاريخ : مادة (ثنى) ٩٧/١٥ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ، صنعة ابن السكيت ، تحقيق : الإمام محمد طاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع ، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، بلا تاريخ : ٨٤ .

(٣) ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، (ت ٣٩٣ هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م : مادة (ثنى) ٧٥٧/٣ .

واثنان من عدد المذكر واثنتان للمؤنّث، وفي المؤنّث لغة أخرى: ثِنْتانِ بحدف الألف. وأَلِفُهُ ألفُ وصلٍ. ويومُ الاثْنَينِ لا يُثَنَّى ولا يجمع، لأنَّه مثنى.

وقولهم: هذا ثاني اثْنَيْنِ، أي هو أحد الاثنين. وتقول للمؤنث: اثْنَتانِ وإن شئت ثِنْتانِ؛ لأنّ اللا إنَّما اجْتُلِبَتْ لسكون الثاء ، فلما تحركتْ سقطتْ. ولو سَمَّيَ رجلٌ باثْنَيْنِ أو باثْنَي عَشَرَ لقلت في النسبة إليه ثَنَويٌّ .

والمَثاني من القرآن: ما كان أقلَّ من المائتين. وتسمَّى فاتحة الكتاب مَثَانِيَ لأنّها تُثَنّى في كلِّ ركعة. ويسمّى جميعُ القرآن مَثانيَ أيضاً لاقترانِ آية الرحمة بآية العذاب(١) .

ويقال ثَنّى فلانٌ : فَعَلَ فِعْلاً ثانياً . والثَّنْيُ: ضَمُّ واحِدٍ إلى آخَرَ، والثِّنْيُ: الاسْمُ . وفلانٌ لا تُثْنى به الخَنَاصِرُ: أي لا يُعَدُّ ثانياً.

وثَنّى تَثْنِيَةً: إذا فَعَلَ أمْراً ثُمَّ ضَمَّ إليه آخَرَ. وثَنَيْتُ الرَّجُلَيْنِ أثْنِيْهما، وأنَا ثانيهما. واثْنَتَانِ: على تَقْدِيْرِ ضَمِّ إثْنَةٍ إلى إثْنَةٍ؛ لا تُفْرَدَانِ. وجاءَ القَوْمُ مَثْنى مَثْنى وثُنَاءَ ثُنَاءَ(٢) .

---

(١) ينظر : تهذيب اللغة : مادة (ثنى) ٩٧/١٥ ؛ الصحاح : مادة (ثنى) ٧٥٧/٣ .

(٢) ينظر : المحيط في اللغة، لكافي الكفاءة الصاحب إسماعيل بن عباد، (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م : مادة (ثنى) ٤٢٠/٢ ؛ المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده ، (٤٥٨ هـ) ، تحقيق : مصطفى السقا ، ود، حسين نصار ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط١ ، ١٩٥٨ م : مادة (ثنى) ١٩٥/١٠ ؛ تاج العروس من جواهر القاموس ، محي الدين أبي الفضل محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الزبيدي ، (ت ١٢٠٥ هـ) ، مكتبة الحياة ، بيروت ، بلا تاريخ : مادة (ثنى) ٣٠٤/٣٧ .

وثَنَّاهُ تَثْنِيَةً : جعله اثنين ، والثَّنِيَّةُ واحدة الثَّنَايَا من السن وهي أيضا طريق العقبة و الثَّنِيُّ الذي يلقى ثنيته ويكون ذلك من الظلف والحافر في السنة الثالثة وفي الخف في السنة السادسة والجمع ثُنْيانٌ و ثِنَاءٌ[١] .

قال الخليل : " كلام العرب مبني على أربعة أصناف : على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، فالثنائي على حرفين ، نحو : قد ، لم ، هل ، لو ، بل ، ونحوه من الأدوات والزجر "[٢] . وقد قسم الخليل كتابه (العين) على هذا الأساس .

وما قاله ابن منظور عند حديثه عن تأليف كتاب تهذيب للغة: " فولف التهذيب في الثنائي المضاعف "[٣] .

وعلى هذا يمكن القول أن الثنائي هو كل شيء انطوى على اثنين ، أو تكون من اثنين ، وعلى هذا فجمعه الثنائيات جُمِع جَمْع المؤنث السالم واحدها الثُّنَاء .

فالثنائية مؤنث ثنائي مشتق من: ثنى يثني وهو تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين أو متباينين وذلك قولك : ثنيت الشيء ثنياً[٤] .

---

(١) ينظر : ديوان الأدب في اللغة، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفاريابي، (ت٣٥٠هـ)، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة : إبراهيم أنيس ، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م : مادة (ثنى) ٥٧/٤ .

(٢) العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، (ت ١٧٥ هـ) ، تحقيق : د ، مهدي المخزومي ، و د ، إبراهيم السامرائي ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٠ ـ ١٩٨٥ م : مادة (ثنى) ٤٨/١ .

(٣) لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١ هـ)، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٦٨ م مادة (فولف) ٢٧٤/٩ .

(٤) ينظر : مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م : مادة (ثنى) ١/ ٣٩١.

ثانياً ــ الثنائيات في الاصطلاح :

عرف الإنسان منذ نشوئه جسدياً وفكرياً الثنائيات، وقامت حياته على أساسها ، فالثنائيات "فكرة قديمة ترجع إلى بداية الخلق الأولى، عندما خلق الله تعالى آدم ــ عليه السلام ــ وخلق له من جنسه حواء تؤنس وحشته، وتبدد وحدته، وادخلهما الله تعالى الجنة ليبدءا رحلة الحياة معاً في ثنائية تكون أول ثنائية للجنس البشري"(١) .

فالطبيعة البشرية بصورة عامة ثنائية التكوين تتألف من عنصرين هما عنصر المادة وعنصر الروح(٢).

والثنائي من الأشياء " ما كان ذا شقين "(٣) .

والثنائية هي "القول بزوجية المبادئ المفسرة للكون كثنائية الأضداد وتعاقبهما .. أو ثنائية الواحد وغير المتناهي عند الفيثاغورسيين، أو ثنائية عالم المثل وعالم المحسوسات عند أفلاطون "(٤) .

لم أقف على معنى الثنائيات في كتب الاصطلاحات والتعريفات العربية ، فهو مصطلح حادث ، واقتصر استخدامه في اللغة العربية على ما سبق بيانه من تعريف الخليل له .

أما في علم الحديث فقد ورد استخدام هذا المصطلح بلفظه المفرد (الثنائي) ، ففي تكملة المعاجم العربية قيل : " ثنائي : حديث ثنائي الإسناد

---

(١) ثنائية اللذة والألم في الشعر العربي قبل الإسلام، ليلى نعيم عطية، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ــ كلية الآداب ٢٠٠٥م : ١

(٢) ينظر : مكونات الطبيعة البشرية عبر التاريخ وموقف الإسلام من الإنسان، د. مسارع حسن الراوي، دار الياقوت للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، ط٢ ، ٢٠٠٦م : ١٠٦،

(٣) المعجم الفلسفي، للدكتور جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧١م : ١/ ٣٧٩،

(٤) المصدر نفسه : ١/ ١٧٩ – ٣٨٠،

: حديث نقل عن الرَسُول ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ بوساطة سلسلتين من رواة الحديث ، ففي العبدري (ص ٢٨ ق) : قرأت عليه بعض الأحاديث ثنائية الإسناد من حديث مالك "[١] .

وقد ضمن المتقي الهندي كتابه كنز العمال الفصل الثاني في الثنائيات[٢] .

أما القنوجي فتحدث عن الثنائيات في اللغة وأراد بها الثنائيات التي أشار إليها الخليل من قبل ، ومن جملة ما قاله : " التقديم والتأخير بين الحروف معتبر في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات ، وتخرج الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات ، فيما يجمع من واحد إلى ستة وعشرين لأن كل ثنائية يزيد عليها حرفا ، فتكون ثلاثية فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من الحروف الباقية وهي ستة وعشرون حرفا بعد الثنائية، فتجمع من واحد إلى ستة وعشرين على توالي العدد، ويضرب فيه جملة الثنائيات " [٣] .

وأورد الكتاني عبارة : " (الثنائيات) لمالك في الموطأ ، وهي أعلى ما عنده[٤] .

---

(١) تكملة المعاجم العربية ، رينهارت دوزي ، ترجمة وتعليق : د ، محمد سليم النعيمي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ م : ٢/ ٢١٥ ،

(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري الشهير بالمتقي الهندي ، (ت ٩٧٥ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ : ١٢/١٥.

(٣) أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، صديق بن حسن القنوجي ، (ت ١٣٠٧ هـ) ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨ م : ٢ /١٤ .

(٤) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، محمد بن جعفر الكتاني ، (ت ١٣٤٥ هـ) ، تحقيق : محمد المنتصر بن محمد الزمزمي الكتاني ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦ م : ٨٩ .

وفي الأدب واللغة نتلمس ملامح الثنائية عند القدماء في ظاهرة التقابل ، إذ أن "أكثر كلام العرب يأتي على حدين احدهما: أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين كقولك: الرجل والمرأة، والجمل والناقة، واليوم والليلة، وقام وقعد، وتكلم وسكت، وهذا هو الكثير الذي لا يحاط"(١) .

ومما يلاحظ على البلاغة قديماً أن النمط الثنائي أتسم بالتوافق بينه وبين المجال الذي يرد فيه، ففي (علم البيان) يأخذ طبيعة جدلية ، فتكون العلاقة بين طرفي الصورة في حالة حركة دائمة، أما في (علم المعاني) فيأخذ شكلاً تحولياً تنتقل فيه الصيغة أو اللفظة من حالة إلى أخرى مؤثرة في تكثيف الطبيعة الفنية للصياغة من ناحية، ومؤثرة في تغيير الدلالة من ناحية أخرى، وفي (علم البديع) تكاد تكون الثنائية تقابلاً خالصاً، واستغلالاً لإمكانات اللغة وما تقدمه من ألوان التوافق والتخالف(٢) .

ثالثاً- علاقة التضاد بين الليل والنهار، ومواضع ذكرها في القرآن الكريم:

قد اجتمعت الثنائيات بعلاقة تضاد ، والتضاد في اللغة هو: "جمع ضد وضد كل شيء ما نافاه، نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن"(٣).

والتضاد في موضوعنا يضفي على النص جواً مشحوناً بالحركات الثنائية انطلاقاً من أن الموجودات في الكون يعتمد بعضها في الوجود على الثنائية المتضادة كالليل والنهار، والحرارة والبرودة، والرجل

---

(١) الأضداد، لأبي البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، (ت٥٧٧هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، بلا تاريخ . (حققه : محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الحكومة، الكويت، ١٩٦٠م : ٦ .

(٢) ينظر : بناء الأسلوب في شعر الحداثة ـــ التكوين البديعي ، د. محمد عبد المطلب، دار المعارف ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٥م : ٦٩ .

(٣) الأضداد : ١٠ .

والمرأة، والظلمة والنور، في حين يعتمد بعضها الآخر في إدراكنا وإحساسنا بها على هذه الثنائية كالحب والبغض، والصدق والكذب، والوفاء والغدر، والصبر والجزع.

والذوق العربي ميال إلى فكرة الثنائيات المتضادة بشكل جلي، ولقد زخر القرآن الكريم بشواهد كثيرة رائعة لهاتين الفكرتين، جاءت روعتهما من ظاهرة التناسق الفني التي غلبت على مواطن ذكرها .

وما تجدر الإشارة إليه أن الثنائيات قد تكون متضادة مثل الصيف والشتاء ، والليل والنهار ، وقد لا يكون بينهما تضاد ، مثل السميع العليم ، والغفور الرحيم .

ولعدم الوقوف على تعريف للثنائيات ، فيمكن تعريفها بأنها :

الألفاظ التي يرتبط بعضها مع بعض بعلائق أو وشائج تجمع بينهما معنوية كانت أم مادية . والتي غالباً ما إذا ذكر أحدهما ذكر الآخر .

فالليل والنهار يربط بينهما الزمان ، والسماء والأرض يربط بينهما المكان ، والحب والكره يربط بينهما الشعور . وهكذا ، فكل واحد من هذه الثنائيات يرتبط مع قرينه برابط مادي أو معنوي .

كما أن ذكر الليل يكون توطئة لذكر النهار ، وذكر المطر توطئة لذكر السحاب .

لقد ورد لفظ الليل في القرآن الكريم بمختلف اشتقاقاته (٩٢) مرة ، ورد بلفظ الليل (٧٤) مرة ، وبلفظ ليلا (٥) مرات ، وبلفظ ليلة (٨) مرات ، وبلفظ ليال (٣) مرات ، وبلفظ ليلها ولياليي مرة واحدة لكل منهما[١] .

(١) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبدالباقي، مطابع الشعب، مصر، ط١، ١٣٧٨هـ : ٦٥٦ ــ ٦٥٧ ،

وورد لفظ النهار في القرآن الكريم (٥٧) مرة ، ورد بلفظ النهار (٥٤) مرة وبلفظ نهارا (٣) مرات[١] .

وارتبط ذكر الليل والنهار في القرآن الكريم في (٤٣) موضع ، منها (٢١) موضع بلفظ (اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) .

المبحث الثاني

الآيات الكونية

ارتبطت ثنائية الليل والنهار بعدد من القضايا منها الآيات الكونية والتي جاءت ضمن سياق الحث على التدبر في آيات الله ، التي يراها الناس ويعيشونها كل لحظة وحين ، وهي لمن تفكر فيها وتدبر لآيات عظيمة تنبئ أن لهذا الكون خالق عظيم ، ومن هذه الدلالات :

أولا ــ اختلاف الليل والنهار :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[٢] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٣] . وقال عزَّ وجل : ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾[٤] . وقال جلَّ جلاله : ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ

---

(١) ينظر : المصدر نفسه . : ٧٢٠ ــ ٧٢١ ،

(٢) سورة البقرة : الآية ١٦٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٩٠ .

(٤) سورة يونس : الآية ٦ .

يَتَّقُونَ ﴾ [١] . وقال سبحانه : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [٢] . وقال تقدَّس اسمه : ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٣]

فقد نبَّهت هذه الآيات إلى عظيم خلق الله وآياته في الكون ، ومنها خلق الليل والنهار ، وفي هذه الآيات دليل الآفاق ، وهو عبارة عن مجموعة من الحوادث المتجددة في العالم عن طلوع القمرين والكواكب وغروبهما عند دوران الأفلاك الدائرات والسفن الجاريات ، والرياح الذاريات ، والنجوم الثوابت ، كل هذه تدل على الفاعل المختار[٤] .

والليل : معروف ، ومبدؤه من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، مفرده ليلة، والجمع ليالٍ، والليل اسم لكل ليلة[٥] ، والنَّهار : ضد الليل، وهو ضِياءُ ما بين طلوع الفجر إِلى غروب الشمس، مفرده يوم، والجمع

---

(١) سورة المؤمنون : الآية ٨٠ .

(٢) سورة فصلت : الآية ٣٧ .

(٣) سورة الجاثية : الآية ٥ .

(٤) إثبات الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق ، لعز الدين مُحَمَّد بن إبراهيم الوزير بن علي الهادوي اليماني ، (ت ٨٤٠هـ) ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ : ٥١.

(٥) ينظر : الأزمنة وتلبية الجاهلية ، لأبي علي المؤلف: محمد بن المستنير بن أحمد، الشهير بقُطْرُب ، (ت٢٠٦هـ) ، تحقيق : د حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م : ٢٠؛ المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الضرير النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م : ٣٨٧/٢ .

أنهر، والنهار اسم لكل يوم[١] .

وفي الآية الأولى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ [٢] ... الآية صارت الطبيعة جزءً مهماً في تشكيل الصورة القرآنية ، فقد صور السموات والأرض والجبال والبحار والبساتين، والظلال إلى غير ذلك من عناصر الوجود، ذلك أن القرآن يوجه النظر إلى الكون ؛ لأنه طريق للوصول إلى خالقه، ولاسيما أن الكون يمثل الجمال بكل ما تحمله عرض صوراً من الطبيعة متحركة أو صامتة، بعضها في السماء، وبعضها في الأرض، وبعضها في الجو .

وفسر ابن عطية اختلاف الليل والنهار بأن معناه أن هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا فهما خلفة[٣]

(١) ينظر : الأزمنة وتلبية الجاهلية : ٥٦ ؛ جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري بن دريد، (ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م : مادة (نهر) ٨٠٧/٢ ؛ المخصص : ٣٩٢/٢.

(٢) سورة البقرة : من الآية ١٦٤ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المعروف بـ(تفسير ابن عطية)، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الغرناطي الأندلسي، (ت٥٤١هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م : ٢/ ٤٨ .

ويدل سبب نزول الآية أن المعرفة والقناعة والإيمان سبيلها العقل لا المعجزات الباهرة ، ولا الخوارق القاهرة ، فقد ذكر أن المشركين قالوا للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أرنا آيةً فنزلت[١] .

لقد ذكرت الآية الكريمة عناصر الطبيعة على وفق ترتيب جميل يبهر السامع ، ويسترعي العقل للانتباه والوقوف للتفكر والتأمل في هذا الكون ، فبدأ أولاً بالخلق ؛ فهو الآية العظمى والدلالة الكبرى على الإلهية ، وقدم السموات على الأرض لعظم خلقها آو لسبقه على خلق الأرض عند من يرى ذلك ، ثم أعقب ذكر خلق السموات والأرض باختلاف الليل والنهار ، ثم أعقب ذلك بذكر الفلك ، وهو معطوف على الليل والنهار ، ثم أعقب ذلك بأمور اشترك فيها العالم العلوي والعالم السفلي ، وهو إنزال الماء من السماء ، ونثر ما كان دفيناً في الأرض بالإحياء[٢] .

---

(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ(تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م : ٢ /٦١ ؛ العجاب في بيان الأسباب، لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عبدالحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام . ط١، ١٩٩٧م : ١١٤/١ ؛ لباب النقول في أسباب النزول، لأبي الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، (ت٩١١هـ)، دار إحياء العلوم . بيروت، بلا تاريخ : ٤٤ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، (ت٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٣م : ١٧٠/١٢ ؛ البحر المحيط ، لأبي عبدالله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بابن حيان وبأبي حيان، (ت٧٥٤هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٠هـ : ٦٤٢/١ .

وجاء هذا المشترك مقدماً فيه السبب على المسبب ، فلذلك أعقب بالفاء التي تدل على السبب عند بعضهم ، ثم ختم ذلك ذكر جريان الفلك ، وإنزال الماء ، وإحياء الموتى ، والتي لا تتم الا به سبحانه ، وتصريف الرياح والسحاب ، وقدم الرياح على السحاب لتقدم ذكر الفلك وتأخر السحاب لتأخر إنزال الماء في الذكر على جريان الفلك ، وختم الآية بأن ما ذكره من خلق هو لآيات لقوم يعقلون ، ولم يقل لقوم يبصرون تغليباً لحكم العقل ، إذ مآلُ ما يشاهد بالبصر راجع إلى العقل ، وهذه الجملة هي بمثابة صفة مدح للذين يتفكرون في خلق الله [١] .

والعبارات في هذه الآية تتلاحم لتعرض صورة شاخصة لهذا الكون، فهذه السموات والأرض بكل هذه الأبعاد الهائلة والأجرام الضخمة، والآفاق المسحورة والعوالم المجهولة، وهذان الليل والنهار، وهما يتعاقبان تعاقب النور والظلام، وتوالي الإشراق والعتمة، وهذا الفلك الجاري وسط البحر بما ينفع الناس، والماء النازل من السماء، والريح المتحولة من وجهة إلى وجهة، وذلك السحاب المحمول على الهواء كلها، سمفونية مترابطة الإيقاعات متآلفة من البداية إلى النهاية، لتصل إلى نتيجة مفادها : أنها دلائل على الجمال والجلال لقوم يعقلون[٢] .

وفي قوله عزَّ وجل : ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ [٣] افتتحت الآية بحرف التوكيد

---

(١) ينظر : البحر المحيط : ٦٤٢/١ ؛ تفسير القرآن العظيم المشهور بـ(تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٤١٩هـ : ١ /٢١٤ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن، سيد قطب، (١٣٨٧هـ)، دار الشروق، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م : ١٤٦/١ ـ ١٤٧ .

(٣) سورة يونس : الآية ٦ .

(إنّ)؛ " لتنزيل المخاطبين به الذين لم يهتدوا بتلك الدلائل إلى توحيد الله تعالى منزلة من ينكر أن في ذلك آيات على الوحدانية لعدم جريهم على موجب العلم "[1]. وفي التعبير بلفظ الماضي (خَلَقَ) دون المضارع؛ لإثبات كمال القدرة لله تعالى على الخلق.

ولما كان تعاقب الليل والنهار، وجميع ما خلق الله في السماوات والأرض كلها دلائل وبراهين على ثبوت وجود الله تعالى، ووحدانيته وسعة علمه، وكمال قدرته، ناسب التعبير بالفعل الماضي؛ ليتناسب ذلك مع سياق هذه الآية.

وجاء الأسلوب القرآني بلفظ الجمع في كلمة (الآيات) وفي ذلك دليل واضح على أن الله تعالى، لم يبعث لهم آية واحدة فحسب، بل إنها آيات تلو آيات، وبراهين تتبعها براهين، ولكنهم على الرغم من ذلك لم يهتدوا بها على وحدانية الله عز وجل، فهذه الآيات سواء كانت آيات كونية، أو آيات القرآن، فهي لم يكن لها صدًى وأثرًا واضحًا إلا في القوم المتقين لله تعالى؛ لأن التقوى هي الداعية للنظر والتدبر، فهم المعتبرون بهذه الآيات المنتفعون بها[2] .

فجاء التعبير بصيغة الجمع؛ لأنه ذكر آيات كثيرة، فذكر اختلاف الليل، وهو إظلام الجو من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، وذكر اختلاف النهار، وهو بدو الضياء من طلوع الشمس إلى غروبها، وذكر ما خلق الله في السماوات والأرض، وهي مخلوقات كثيرة لا يمكن حصرها، وفي كل منها آية مستقلة، فكان جمع الآيات هنا أبلغ؛ لإبراز كل آية من

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م : ١١/ ٩٧.

(٢) ينظر : البحر المحيط : ٥/ ١٣١ ؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ: ٣/ ٢١٤.

هذه الآيات جميعاً ، كما أن في مجيء لفظ الجمع موافقة لجمع (السَّمَوَاتِ) و (قوم)، وللسياق لتقع المطابقة في اللفظ والمعنى [١] .

" فالآيات حيث جُمعت فلجمع الدلائل، وحيث وُحِّدت فلوحدانية المدلول عليه "[٢]. وفي ذكر لفظ (قَوْم) للإيماء إلى أنهم رسخ فيهم وصف التقوى، فكان من مقومات قوميتهم، وفي هذا تعريض بأن الذين لم يهتدوا بهذه الآيات ليسوا من الذين يتقون[٣] .

وقد كشف هذه الآيات جملة حقائق ، منها :

بين سبحانه أنه هو من أبدع هذا الكون ، وأنه جعل اختلاف الليل والنهار على هذه الشاكلة لينسجم مع معاش الناس ومصلحتهم ؛ ولكنهم مع ذلك لا يشكرون الله على ذلك ، ولا يشعرون في أنفسهم أنهم إليه راجعون وعرَّض سبحانه بعقولهم ، وأنهم لم يستخدموا عقولهم لتدلهم على الله الذي قهر كل شيء، وخضع له كل شيء[٤] .

وهذا العالم قد اشتمل على أحوال متضادة ، والجمع بين المتضادين يدل على أن منشئهما واحد، كالليل والنهار " هما مختلفان ، أحدهما ظلام والآخر نور، يفنيان الأعمار ويقربان الآجال، وليس بينهما في رأي العين تشابه ولا تشاكل ، إذ أحدهما نور والآخر ظلام، وهما متضادان، لكن

---

(١) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، بلا تاريخ : ٣/ ٤١٩ .

(٢) البرهان في علوم القرآن، لأبي عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي الشافعي، (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ : ٤/ ١٢.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١١/ ٩٧ .

(٤) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٥/٣٥٦ ــ ٣٥٧ ؛ في ظلال القرآن : ٤/٢٤٧٧ ــ ٢٤٧٨.

خلقهما لمنافع البشر ... ثم صيرهما مع اختلافهما وتضادهما ، وهما كالشكلين، لاتصال منافع بعضها ببعض، دلّ أن منشئهما واحد، وأنه عليم حكيم، حيث جمع من المتضادين المختلفين وصيّرهما كالشكلين، وهما لعلم وحكمة وتدبير صارا كذلك"[١].

فالأحوال المتضادة من حقها التدافع والتنافر ، والجمع بين المتضادين يدل على وجود خالق لا يعجزه شيء[٢] .

ثانياً ــ أحوال تعاقب الليل والنهار :

تنوعت الأوصاف القرآنية التي وصفت اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما ، ومجمل هذه الأوصاف ترسم صورة متكاملة لعملية التعاقب وكيفية حصوله ، زيادة على اختلاف الليل والنهار ، أي : إنه يجيء أحدهما ويذهب الآخر، ويطول هذا فيقصر ذاك، وكل ذلك بحسبان[٣] ، فهي تتمثل بالآتي :

أ ــ الغشيان :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤] . وقال سبحانه : ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا (٣) وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴾[٥] ، وقال جل جلاله : ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ

---

(١) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي، (ت٣٣٣هـ)، تحقيق : د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م : ٢/ ٥٦٠ .

(٢) المصدر نفسه : ٨/ ٥٤٢ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ١/ ٤٦٧ ؛ التحرير والتنوير : ٢/ ٧٨ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ٥٤ .

(٥) سورة الشمس : الآيتان ٣ ــ ٤ .

﴿ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ ﴾ [1] ، أي : إن الله تعالى يلحق الليل بالنهار، أو النهار بالليل على التعاقب، فيذهب ظلام الليل بضياء النهار، وضياء النهار بظلام الليل، وكل منهما يأتي بعد الآخر سريعاً دون وجود فاصل بينهما[2] ، أو يغشي الليل الشمس فيزيل ضوءها[3] ، أو يغشي الليل الأرض ، والذي تقتضيه الفصاحة أن الضمير في قوله : (يغشاها) عائد على الشمس ، وكما أن النهار جلاها كان الليل هو الذي يغشاها[4] .

ب ــ التقليب :

قال تعالى : ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [5] أي أي : الليل والنهار يختلفان ، فالله تعالى يأتي بالليل ويذهب بالنهار، ثم يأتي بالنهار، ويذهب بالليل[6] . فالله تعالى يعقب بين الليل والنهار ويصرفهما إذا اذهب هذا جاء هذا ، وإذا اذهب هذا جاء هذا ، فالتقليب هنا تغيير هيئة إلى ضدها، وتغيير الليل والنهار، تغيير الأفق من حالة الليل إلى حالة الضياء، ومن حالة النهار إلى حالة الظلام، فالمقلب هو

---

(١) سورة الليل : الآيتان ١ ــ ٢ .

(٢) ينظر : جامع البيان : ١٢/ ٤٨٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٧/ ٢٢١ .

(٣) ينظر : مفاتيح الغيب المعروف بـ(التفسير الكبير)، وبـ(تفسير الرازي)، لأبي عبدالله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب الرازي، (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، مصر ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ : ٣١ /١٩١ ؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي ، (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ: ٣٠ /١٤١ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٨ /٤٧٨ .

(٥) سورة النور : الآية ٦ .

(٦) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي المتوفى سنة (١٥٠هـ) تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ ــ ٢٠٠٣م : ٢/ ٤٢٢ ؛ جامع البيان : ١٩/ ٢٠٣ .

الجو بما يختلف عليه من الأعراض، ولكن كما كانت حالة ظلمة الجو تسمى ليلاً، وحالة نوره تسمى نهاراً ، عبر عن الجو في حالتيه بهما، وعدي التقليب إليهما بهذا الاعتبار، ومما يدخل في معنى التقليب تغيير هيئة الليل والنهار بالطول والقصر، ومراعاة تكرير التقليب عبر عن الحدث بالمضارع المقتضي للتكرير والتجديد[١] .

ج ــ الولوج :

قال تعالى : ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [٢] . وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [٣] ، وقال عزَّ وجل : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [٤] . وقال الله جل جلاله : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾ [٥] . وقال تبارك وتعالى : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [٦] ، أي : يدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير: ١٨/ ٢٦٤ .
(٢) سورة آل عمران : الآية ٢٧ .
(٣) سورة الحج : الآية ٦١ .
(٤) سورة لقمان : الآية ٢٩ .
(٥) سورة فاطر : الآية ١٣ .
(٦) سورة الحديد : الآية ٦ .

النهار، ويدخل ما نقص من ساعات النهار في ساعات الليل ، فما نقص من هذا زاد في هذا[١] .

وذكر الرازي وجهين في معنى إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل : " أحدهما يحصل ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك بغيبوبة الشمس، وضياء ذلك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء البيت بالسراج ويظلم بفقده ، وثانيهما أنه سبحانه يزيد في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات "[٢] .

د ــ الانسلاخ :

قال تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ [٣] ، أي : إزالة الضوء وإخراج الظلمة ، فيأتي الليل ويذهب النهار[٤] ، فهو بيان لقدرته تعالى في الزمان ، فخلق الليل والنهار هذا بظلامه وهذا بضيائه وجعلهما يتعاقبان ، فاستعير السلخ الذي هو الكشط إلى أن النهار طارئ على الليل كما أن المسلوخ منه قبل المسلوخ الذي هو كالغطاء على المغطى ، وقيل: لان الليل سابق عرفاً وشرعاً[٥] ، فيدخلون في الظلام ؛ لأن ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء فإذا خرج منه أظلم[٦]، وفي هذه الآية استعارة ، والمراد : نخرج منه النهار ونستقصي

---

(١) ينظر : جامع البيان : ١٨/ ٦٧٥ ؛ المحرر الوجيز : ٤/ ٤٣٤ ؛ تفسير القرآن العظيم،لابن كثير : ٨/ ١٠ .

(٢) مفاتيح الغيب : ٥٣/٢٣.

(٣) سورة يس : الآية ٣٧ .

(٤) ينظر : بحر العلوم المسمى بـ(تفسير السمرقندي)، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (ت٣٧٥هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ : ٣/ ١١٦ .

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم،لابن كثير : ٥٤٨/٣ ؛ روح المعاني : ١٥/٢٣ .

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القران: ١٩/١٥.

تخليص أجزائه من أجزائه حتى لا يبقى من ضوء النهار شيء مع ظلمة الليل[١] .

هـ ــ التكوير :

قال تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴾ [٢] ، أي: إن الله تعالى يأتي بالنهار ويذهب الليل ، ويأتي بالليل ، ويذهب النهار[٣] ، وهذا أوضح بيان في تكوير بعضها على بعض مأخوذ من كور العمامة وهو إدارتها ، وهو بيان لكيفية تصرفه فيما ذكر بعد بيان الخلق ؛ فإن حدوث الليل والنهار منوط بتحريك أجرام سماوية ، والمراد يغشى أحدهما الآخر ، أي : يذهب أحدهما ويغشى مكانه الآخر ، أي: يلبسه مكانه فيصير أسود مظلماً بعد ما كان أبيض منيراً ، وبالعكس فالمغشي حقيقة المكان[٤] ، ويجوز أن يكون المغشي الليل والنهار على الاستعارة ، ويكون المكان ظرفاً ، والمقصود أنه لما كان أحدهما غاشياً

---

(١) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى المعروف بالشريف الرضي، (ت٤٠٦هـ) حققه وقدم له ووضع فهارسه : محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاءه، القاهرة ط١، ١٣٧٤هـ ــ ١٩٥٥م : ٢٢٩-٢٣٠ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٥ .

(٣) ينظر : تلخيص البيان : ٢/ ٢٨٤ ؛ التحرير والتنوير : ٢٣/ ٣٢٨ .

(٤) ينظر : جامع البيان : ٢٣ / ١٢٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ١٥/٢٣٤ ــ ٢٣٥ ؛ البحر المحيط : ٧/٣٨٦ -٣٨٧ .

للآخر أشبه اللباس الملفوف على لابسه في ستره إياه واشتماله عليه وتغطيه به[١] .

ثالثاً ــ سمات ثنائية الليل والنهار :

ارتبط بثنائية الليل والنهار عدد من السمات المتعلقة بالآيات الكونية والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، وهذه السمات هي :

١ ــ داوم حفظ الله تعالى :

إن حفظ الله عزَّ وجل للكون وللعباد دائم ما دامت السموات والأرض، وما دام الليل والنهار ، يقول تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [٢] ، والكلأ هو ، أي من يحفظكم بالليل والنهار من بأسه ؟ وتقديم الليل لما أن الدواهي فيه أكثر وقوعاً وأشد وقعاً ، وفي إيراد اسم الرحمن تنبيه على أنه لا حفظ لهم إلا برحمته تعالى[٣] .

وقيل : إن ذلك إيماء إلى أن بأسه تعالى إذا أراد شديد أليم ، ولذا يقال : نعوذ بالله عز وجل من غضب الحليم ، وتنديم لهم حيث عذبهم بالحرمان من رحمته[٤] .

٢ ــ عدم تداخل الأوقات :

هكذا قضت سنة الله تعالى أن لا يتداخل الليل بالنهار ، أو النهار بالليل ، فالوقت إما ليلاً أو نهاراً ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ

---

(١) ينظر : عناية القاضي وكفاية الراضي، المعروف بحاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، (ت١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٨م : ٧ / ٣٢٧

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٤٢ .

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٥١٩/٣.

(٤) ينظر : حاشية الشهاب : ٦ / ٢٥٦ .

وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [1] ، وقال سبحانه : ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [2] ، و المقصود بيان معاقبة كل من الشمس والقمر في ترتب الإضاءة وسلطانه على الاستقلال، وكذلك اختلاف الليل والنهار ، وقوله : ﴿ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ ﴾ كناية عن سبق آيتهِ آيتهُ فحصلت الدلالة على الاختلاف أيضاً إدماجا ؛ لأنها لا تنافي إرادة الحقيقة ، وجاء من ضرورة التقابل هذا المعنى في النهار أيضاً من قوله تعالى : ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ ﴾ [3] .

وجاءت الاستعارة في السبق لليل والنهار، ليبين ما هو مقرر من دوران الشمس والقمر والأرض، وتكوّن الليل والنهار[4] ، وقسم سبحانه لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسماً من الزمان، وجعل أمرهما على التعاقب، وجعلهما متواليين رحمة بهم ونعمة عليهم، وهذا تدبيره واختياره، كما دبر لهم كل سنن الحياة[5] .

٣ ــ ملك الله تعالى :

قال تعالى : ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [6] . فأثبت جل وعلا أن ملك جميع الأزمان والأوقات ، والليل والنهار هما الوقتان المخصوصان ، والسكنى يتناول المتحرك والساكن من غير تقدير وتعديتها بـ(في) إشارة إلى الزمان مع أن حق استعمالها في المكان

---

(١) سورة الانبياء : الآية ٣٣ .

(٢) سورة يس : الآية ٤٠ .

(٣) ينظر : روح المعاني : ٢١/١٢ .

(٤) ينظر : إعراب القرآن وبيانه، محي الدين الدرويش، دار اليمامة، بيروت – دمشق، ط ٧، ١٤٢٠ هـ ــ ١٩٩٩م : ٣٢٩/٢٣ ــ ٣٣٠ .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن : ٥/ ٢٧٠٨ .

(٦) سورة الأنعام : الآية ١٣.

لتشبيه الاستقرار بالزمان بالاستقرار بالمكان[١] . وذكر الفعل (سَكَنَ) وحذف الفعل (تحرك) ، وذلك لدلالة الفعل (سَكَنَ) عليه ، والمراد من السكون الشيء الذي سكن بعد أن تحرك، فعلى هذا، المراد كل ما استقر في النهار من الدواب، وجملة الحيوانات في البر والبحر ، أو أنه خصَّ الساكن بالذكر[٢] ؛ لأن ما يتصف بالسكون من المخلوقات أكثر مما يتصف بالحركة[٣] .

٤ ــ نفاذ أمر الله تعالى :

إن الله تعالى إذا اقتضى أمراً لا يتأثر بليل أو نهار ، فأمره نافذ وله الأزمان والأوقات ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [٤] ، أي : " أتاها عقابنا في ليل أو نهار ، إما ببرد أو بصواعق محرقة أو غيرها ، ويسمى العقاب أمراً ؛ لأن أفعال الله سبحانه تضاف إليها بلفظ الأمر ؛ لأن ذلك أدل على سرعة السكون من غير استبطاء ولا تعب " [٥] .

---

(١) ينظر : روح المعاني : ١٠٤/٤.

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٦٧/١٢ .

(٣) ينظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير ــ دمشق ، دار الكلم الطيب ــ بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ : ٢/ ١٣١.

(٤) سورة يونس : الآية ٢٤ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: هشام البدراني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م : ٢٥٤/٣.

المبحث الثالث

منافع الليل والنهار

كل شيء خلقه الله تعالى كان عن حكمة ، وفيه منفعة للنـــاس ، ودل على هذا عدد من الآيات التي أشارت إلى تسخيرهما للناس .

قال الله تبارك وتعـــالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ (١) .

وقـــال ســـبحانه : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ (٢) ، فالمقصود بهـــذا تسخير الليل والنهار، وكذا سائر المخلوقات لنفع البشر ، والمنافع المترتبة على هذه الثنائية عامة ، فيكون الليل للسكون والنوم والراحـــة، والنهـــار للحركة وكسب الرزق، وكلاهما للعبادة والذكر(٣) .

إن تعاقب الليل والنهار على نصفي الأرض ضـــروري للحيـــاة؛ لأن جميع صور الحياة الأرضية من إنسان، وحيوان، ونبات، وغير ذلك مـــن أنماط الحياة البسيطة لا تتحمل مواصلة العمل دون راحة وإلا هلكت، فهي تحتاج إلى الراحة بالليل لاستعادة النشاط بالنهار ، أو عكس ذلك بالنســـبة لأنماط الحياة الليلية(٤).

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٣٣ .

(٢) سورة النحل : الآية ١٢ .

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القران: ١٠/ ٨٣ ؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـــ(تفسير البيضاوي)، لأبي سعيد ناصر الدين عبدالله بـــن عمـــر بـــن محمـــد الشيرازي البيضاوي الشافعي، (ت٦٨٥هـــ)، تحقيـــق: محمـــد عبـــد الـــرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـــ ـــ ١٩٩٧م : ٣/ ٣٨٩ ؛ تفسير القرآن العظيم : ٥٦١/٤ .

(٤) ينظر: السماء في القرآن الكريم ، زغلول راغب محمد النجـــار، دار المعرفـــة ، بيروت، ط٤ ، ٢٠٠٧م: ٤٢٢ .

وقد جعل الله تعالى لليل والنهار فوائد أخرى يمكن إجمالها بما يأتي:

أولاً ــ استخلاف الأعمال :

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [1] ، المعنى : مختلفان يذهب هذا ويأتي هذا جعلهما الله خلفة للعباد، والخلفة مصدر فلذلك وحدت وهي خبر عن الليل والنهار والعرب تقول خلف هذا من كذا خلفة وذلك إذا جاء شيء مكان شيء ذهب قبله ، أي : إنه سبحانه جعل الليل والنهار متعاقبين يخلف أحدهما الآخر ويأتي بعده، توقيتاً لعبادة عباده له عز وجل ، فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار، ومن فاته عمل في النهار استدركه في الليل، فيكون في ذلك عظة لمن أراد أن يتذكر ما يجب عليه، ويتفكر في آلاء اللّه وعجائب صنعه، ويشكر ربه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى[2].

والخلفة : أي يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه[3] .

ثانياً ــ توزيع الأعمال :

لقد جعل الله تعالى كلا من الليل والنهار مناسبين لأعمال مخصوصة ، والحالة العامة أن يكون الليل للراحة والسكن ، والنهار للنشاط والعمل .

قال تعالى : ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانًا ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [4] . وقال عزَّ وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ

---

(١) سورة الفرقان : الآية ٦٢ .

(٢) ينظر : جامع البيان : ١٩/ ٢٩١ ؛ مفاتيح الغيب : ٢٤/ ٩٣ ؛ روح المعاني : ١٩/ ٤١ .

(٣) ينظر : أنوار التنزيل : ٢/١٥٠ ؛ روح المعاني : ١٩/ ٤١ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ٩٦ .

لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [1] ، وقال سبحانه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [2] ،

وقال عزَّ من قائل : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [3] ،

وقال تبارك وتعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [4] ، وقال جلَّ جلاله : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾ [5] ، فالليل يسكن إليه من يتعب بالنهار ويستأنس به لاسترواحه فيه ، وكل ما يسكن إليه الرجل ويطمئن استئناساً به واسترواحاً إليه من زوج ، أو حبيب يقال له : سكن[6] .

ووصف الليل باللباس ، أي : الساتر ، والمعنى : أنه تعالى شبَّه الليل من حيث أنه يستر الكل ويغطي باللباس الساتر للبدن[7] ، هذا له علاقة بالستر الذي هو صفة لظلمة الليل .

---

(١) سورة يونس : الآية ٦٧ .

(٢) سورة الفرقان : الآية ٤٧ .

(٣) سورة القصص : الآية ٧٣ .

(٤) سورة غافر : الآية ٦١.

(٥) سورة النبأ : الآيتان ١٠ ــ ١١ .

(٦) ينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ : ٢٩/٢ .

(٧) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٢ /٨٩ ؛ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير : ٣ /٣٢١

ووصفه بالسبات ، وهو الراحة والسكون[١] ، أي : جعل الله سبحانه وتعالى النوم راحة للإنسان، فيهدأ به ويسكن، كأنه ميت لا يشعر بما حوله وهو حي لم يمت[٢] .

وهذا لا يمنع أن يكون النوم في النهار للراحة أيضاً لأسباب شتى ، لذا قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [٣] ، والنوم بالليل والابتغاء من الفضل ، أي : الكسب بالنهار أمران معتادان ، وأما النوم بالنهار فكنوم القيلولة ، وأما الكسب بالليل ، فكما يقع من بعض المكتسبين ، وأهل الحرف من السعي والعمل ليلاً لاسيما في أطول الليالي وعدم وفاء نهارهم بأغراضهم ، ومن ذلك حراسه الحوانيت بالأجرة ، وكذا قطع البراري في الأسفار ليلا للتجارة ونحوها[٤] .

ثالثاً ــ ارتباط ثنائية الليل والنهار بالعبادات :

ارتبطت ثنائية الليل والنهار بالعبادات في عدد من الآيات ، وارتبط ذكرهما بعدد من المعاني ، وهي :

١ ــ بيان مواقيت الصلاة المفروضة :

قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [٥] . وقال سبحانه : ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ

---

(١) ينظر : لسان العرب : مادة (سبت) ٣٦/٢.

(٢) ينظر : تفسير مقاتل : ٣/ ٤٤٠ ؛ مفاتيح الغيب: ٣١/ ٧ ؛ البحر المحيط: ٨/ ٤٠٣ .

(٣) سورة الروم : الآية ٢٣ .

(٤) ينظر : أنوار التنزيل : ٢٠٥/٤ ؛ إرشاد العقل السليم : ٥٧/٧ ؛ روح المعاني : ٣٢/١١.

(٥) سورة هود : الآية ١١٤ .

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ (١) .

اختلف المفسرين في المقصود (بطرفي النهار) على قولين : إنها صلاة الصبح والمغرب ، وقيل : إنها صلاة الصبح والعصر ، وقيل : إنها صلاة الفجر والعشاء(٢) .

والمقصود بـ(أطراف النهار) ، توكيد للصلاتين الواقعتين في طرفي النهار وهما صلاة الفجر وصلاة المغرب . كما اختصت في قوله : (والصلاة الوسطى) ، يعني : صلاة العصر . ومن المفسرين من قال : قبل طلوع الشمس يعني : الفجر ، وقبل غروبها يعني : الظهر والعصر ، وآناء الليل صلاة العشاء ؛ لأنها تصلى بعد مضي آناء من الليل وأطراف النهار يعني صلاة الظهر والمغرب(٣) .

٢ ــ قيام الليل :

جاء ذكر قيام الليل في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ ﴾ (٤) ، وفي قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟

---

(١) سورة طه : الآية ١٣٠ .

(٢) ينظر : جامع البيان : ٧٦٠/٧ ؛ مفاتيح الغيب : ٧٤/٩ ــ ٧٧٥ ؛ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير : ٤٦٢/٢ .

(٣) ينظر : جامع البيان : ١٦٨/٨ ؛ مفاتيح الغيب : ١٣٤/١١ ؛ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير : ١٧١/٣ .

(٤) سورة المزمل : الآيتان ٦ ــ ٨ .

﴿ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

جمهور المفسرين أن المراد منها الصلاة ، وأطراف النهار كالتوكيد للصلاتين الواقعتين في طرفي النهار ، وهما صلاة الفجر وصلاة المغرب[٢] .

وبينت الآية إن في وقت النهار تقلباً وتصرفاً في الحوائج ومصالح الحياة، فلا تتفرغ فيه للعبادة، فصل بالليل ؛ ولكن لا ينبغي الانشغال عن ذكر الله بأي حال نهاراً أو ليلاً ، وطالبت الآية بالدوام على الذكر ليلاً ونهاراً، وإخلاص العبادة لله والاشتغال بعبادته، والتماس ما عنده عند الفراغ من الأشغال والحوائج الدنيوية[٣] .

٣ ــ الامتداد الزمني :

جاء في عدد من الآيات ذكر ثنائية الليل والنهار للدلالة على الامتداد الزمني ، أو استغراقه في الأعمال ، قال تعالى على لسان نوح ــ عليه السلام ــ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ [٤] ، كما ذكر سبحانه وتعالى أن من عنده من الملائكة لا يفترون عن التسبيح : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ [٥] . وقال تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [٦] ، فالملائكة عباد الله عز وجل، لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبحون الله بالليل والنهار لا

---

(١) سورة المزمل : الآية ٢٠ .

(٢) سورة المزمل : الآية ٢٠ .

(٣) ينظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢ ، ١٤١٨هـ : ١٩٤/٢٩ .

(٤) سورة نوح : الآية ٥ .

(٥) سورة فصلت : الآية ٣٨ .

(٦) سورة الأنبياء : الآية ٢٠ .

يفترون[١] .

٤ ــ أثر الثنائية في التوقيت :

قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾[٢] .

" إن الحساب مبني على أربع مراتب : الساعات ، والأيام ، والشهور والسنون ، فالعدد للسنين ، والحساب لما دون السنين وهي الشهور والأيام والساعات ، وبعد هذه المراتب الأربع لاَ يحصل إلا التكرار ، كما أنهم رتبوا العدد على أربع مراتب الآحاد والعشرات والمئات والألوف "[٣] ؛ فإن من نعم الله على النّاس مخالفته تَعَالى بين علامة اللَّيْل وَعَلامَة النهار ، وليعلموا باختلاف اللَّيْل وَالنَّهَارِ عدد السنين وانقضاءها وابتداء دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها[٤] ، فلولا الأَشْهَرِ والليالي والأيام ما علم أحد حسبان الأوقات ولتعطلت أمور كثيرة فالسنة تتحصل بعدة شهور ، والشهر بعدة أيام ، واليوم بعدة ساعات[٥] .

٥ ــ تباين الأحوال :

جاء ذكر الليل والنهار لتبيان تباين أحوال الناس ، واختلاف أعمالهم فيه ، من ذلك إنفاق المال في الليل والنهار ، كما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ

---

(١) ينظر : جامع البيان : ٤٢٣/١٨ .
(٢) سورة الإسراء : الآية ١٢ .
(٣) مفاتيح الغيب : ١٦٧/١٠ .
(٤) ينظر : جامع البيان : ٣٨/٨.
(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٢٨/١٠.

﴿ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [١] ، وهذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله ، وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليل أو نهار[٢].

وفي آية أخرى جاء بيان هذا التباين من ناحية أخرى في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ [٣] ، فالآية تبين إحاطة علم الله تعالى بالكون ، فيعلم خانة الأنفس وما أسرت به من قول ، مثلما يعلم ما جهر به من قول ، والمستخف بالليل هو المستتر بالمعاصي ، وسارب بالنهار الظاهر[٤]

وفي هذا السياق جاء ذكر مكر المتكبرين في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [٥] ، فالمستضعفون يقولون للمستكبرين (بل مكر الليل والنهار) يعني قولكم لنا بالليل والنهار ، واحتيالكم بالدعوة إلى الشرك[٦] وقيل : " هذه استعارة . والمراد بمكر الليل والنهار: ما يتوقع من مكرهم في الليل والنهار، فأضاف تعالى المكر إليهما لوقوعه فيهم "[٧] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٧٤ .
(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٣٢٦/١ .
(٣) سورة الرعد : الآية ١٠.
(٤) ينظر : معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس، (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م : ٤٧٦/٣ .
(٥) سورة سبأ : الآية ٣٣ .
(٦) ينظر : بحر العلوم : ٨٦/٣ .
(٧) تلخيص البيان : ٢٦٦/٢ .

الخاتمة

بعد هذه الجولة العلمية في ربوع القرآن الكريم لا بد لي من خاتمة اذكر فيها النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة والتي ألخصها بما ياتي :

٨. الثنائيات مشتقة في اللغة من كلمة (اثنين) ، وهي كل شيء انطوى على اثنين ، أو تكون من اثنين .

٩. وفي الاصطلاح فالثنائيات هي الألفاظ التي يرتبط بعضها مع بعض بعلائق أو وشائج تجمع بينهما معنوية كانت أم مادية . والتي غالباً ما إذا ذكر أحدهما ذكر الآخر .

١٠. ارتبط ذكر الليل والنهار في القرآن الكريم في (٤٣) موضع ، منها (٢١) موضع بلفظ (اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) .

١١. ارتبطت ثنائية الليل والنهار بعدد من القضايا منها الآيات الكونية والتي جاءت ضمن سياق الحث على التدبر في آيات الله ، التي يراها الناس ويعيشونها كل لحظة وحين ، وهي لمن تفكر فيها وتدبر لآيات عظيمة تنبئ أن لهذا الكون خالق عظيم .

١٢. إن أحوال تعاقب الليل والنهار تمثلت بالغشيان ، والتقليب ، والولوج و الانسلاخ والتكوير .

١٣. تمثلت سمات ثنائية الليل والنهار بداوم حفظ الله تعالى ، وعدم تداخل الأوقات ، وأنهما ملك لله تعالى ، ونفاذ أمر الله تعالى فيهما .

١٤. إن تعاقب الليل والنهار على نصفي الأرض ضروري للحياة؛ لأن جميع صور الحياة الأرضية من إنسان، وحيوان، ونبات، وغير ذلك من أنماط الحياة البسيطة لا تتحمل مواصلة العمل دون راحة وإلا هلكت، فهي تحتاج إلى الراحة بالليل لاستعادة النشاط بالنهار .

١٥. من فوائد لليل والنهار : استخلاف الأعمال وتوزيعها ، وارتباطهما بالعبادات .

١٦. إن الليل والنهار إذا ذُكِرا في سياق واحد في القرآن الكريم يلاحظ تقديم الليل على النهار؛ لان الأصل أن الكون يلفّه ظلام دامس دائم، وبه شمس لا يُرى الضوء المنبعث منه الأ عند انعكاسه من الأجرام السماوية المعتمة لينيرها، فقدم الله تعالى الأهم على المهم في سياق القرآن المجيد .

١٧. أن من حكمة ثنائية الليل والنهار، انه (وبضدها تتميز الأشياء)، كما قيل (والضد يظهر حسنه الضد)، كذكر الظلمات والنور، والحياة والموت، والأعمى والبصير، والهدى والضلال .

والله من وراء القصد .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، صديق بن حسن القنوجي ، (ت ١٣٠٧ هـ) ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨ م .

٢. إثبات الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق ، لعز الدين مُحَمَّد بن إبراهيم الوزير بن علي الهادوي اليماني ، (ت٨٤٠هـ) ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

٤. الأزمنة وتلبية الجاهلية ، لأبي علي المؤلف: محمد بن المستنير بن أحمد، الشهير بقُطْرُب ، (ت٢٠٦هـ) ، تحقيق : د حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٥. الأضداد، لأبي البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، (ت٥٧٧هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، بلا تاريخ . (حققه : محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الحكومة، الكويت، ١٩٦٠م .

٦. إعراب القرآن وبيانه، محي الدين الدرويش، دار اليمامة، بيروت – دمشق، ط ٧، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م .

٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ(تفسير البيضاوي)، لأبي سعيد ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي الشافعي، (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .

٨. بحر العلوم المسمى بـ(تفسير السمرقندي)، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (ت٣٧٥هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ .
٩. البحر المحيط ، لأبي عبدالله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بابن حيان وبأبي حيان، (ت٧٥٤هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٠هـ .
١٠. البرهان في علوم القرآن، لأبي عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله ابن بهادر الزركشي الشافعي، (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ .
١١. بناء الأسلوب في شعر الحداثة ـــ التكوين البديعي ، د. محمد عبدالمطلب، دار المعارف ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٥م .
١٢. تاج العروس من جواهر القاموس ، محي الدين أبي الفضل محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الزبيدي ، (ت ١٢٠٥ هـ) ، مكتبة الحياة ، بيروت ، بلا تاريخ .
١٣. تأويلات أهل السنة، لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي، (ت٣٣٣هـ)، تحقيق : د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م .
١٤. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس ، ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م .
١٥. تفسير القرآن العظيم ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: هشام البدراني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م .
١٦. تفسير القرآن العظيم المشهور بـ(تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)،

تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ .

١٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢ ، ١٤١٨هـ .

١٨. تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي المتوفى سنة (١٥٠هـ) تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣م .

١٩. تكملة المعاجم العربية ، رينهارت دوزي ، ترجمة وتعليق : د.محمد سليم النعيمي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ م .

٢٠. تلخيص البيان في مجازات القرآن، محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى المعروف بالشريف الرضي، (ت٤٠٦هـ) حققه وقدم له وضع فهارسه : محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاءه، القاهرة ط١، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م .

٢١. تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، (ت٣٧٠هـ)، تحقيق أحمد عبد العليم البرنوني ، مراجعة علي محمد البجاوي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة مصر، بلا تاريخ .

٢٢. ثنائية اللذة والألم في الشعر العربي قبل الإسلام، ليلى نعيم عطية، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ـ كلية الآداب ٢٠٠٥م .

٢٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ(تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٤. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح

الأنصاري الخزرجي القرطبي، (ت٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م .

٢٥. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري بن دريد، (ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م .

٢٦. ديوان الأدب في اللغة، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، (ت٣٥٠هـ)، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة : إبراهيم أنيس ، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .

٢٧. ديوان النابغة الذبياني ، صنعة ابن السكيت ، تحقيق : الإمام محمد طاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع ، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، بلا تاريخ .

٢٨. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، محمد بن جعفر الكتاني ، (ت ١٣٤٥ هـ) ، تحقيق : محمد المنتصر بن محمد الزمزمي الكتاني ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ م .

٢٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي ، (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٣٠. السماء في القرآن الكريم ، زغلول راغب محمد النجار، دار المعرفة ، بيروت، ط٤ ، ٢٠٠٧م.

٣١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت ٣٩٣ هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .

٣٢. العجاب في بيان الأسباب، لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي ابن محمد الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عبدالحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام . ط١، ١٩٩٧م .
٣٣. عناية القاضي وكفاية الراضي، المعروف بحاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، (ت١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٨م .
٣٤. العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، (ت١٧٥هـ) تحقيق : د ، مهدي المخزومي ، و د ، إبراهيم السامرائي ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٠ ــ ١٩٨٥ م .
٣٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد ابن علي بن محمد الشوكاني، (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير ــ دمشق ، دار الكلم الطيب ــ بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ .
٣٦. في ظلال القرآن، سيد قطب، (١٣٨٧ه)، دار الشروق، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون، ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م .
٣٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .
٣٨. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري الشهير بالمتقي الهندي ، (ت٩٧٥هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .
٣٩. لباب النقول في أسباب النزول، لأبي الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، (ت٩١١هـ)، دار إحياء العلوم . بيروت، بلا تاريخ .

٤٠. لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١ هـ)، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٦٨ م .

٤١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المعروف بـ(تفسير ابن عطية)، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الغرناطي الأندلسي، (ت٥٤١هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

٤٢. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده ، (٤٥٨ هـ) ، تحقيق : مصطفى السقا ، ود، حسين نصار ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط١ ، ١٩٥٨ م .

٤٣. المحيط في اللغة، لكافي الكفاءة الصاحب إسماعيل بن عباد، (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

٤٤. المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الضرير النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

٤٥. معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس، (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

٤٦. المعجم الفلسفي، للدكتور جميل صلبيا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧١م .

٤٧. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبدالباقي، مطابع الشعب، مصر، ط١، ١٣٧٨هـ .
٤٨. مفاتيح الغيب المعروف بـ(التفسير الكبير)، وبـ(تفسير الرازي)، لأبي عبدالله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب الرازي، (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، مصر ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ .
٤٩. مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .
٥٠. مكونات الطبيعة البشرية عبر التاريخ وموقف الإسلام من الإنسان، د. مسارع حسن الراوي، دار الياقوت للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، ط٢ ، ٢٠٠٦م .
٥١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، بلا تاريخ .